قاعدة خرق الاتساق

"رؤية فلسـفيـــة منطقية في استنباط الفرض العلمي من القرأن الكريم "

الدكتور وائل أحمد خليل(*)

خلفية فلسفية : -

إن ما يصطلح عليه بقاعدة "خرق الاتساق" في النصوص القرآنية والذي يكشف عن فروض علمية معينة إنما هو خاصية منطقية تحمل معنى وظيفياً يهدف الى إثبات أن القرآن الكريم له الحاكمية العلمية المطلقة على الكون ، وليس العكس. فكل محاولة قدمها الإنسان بعقله - من صياغات منطقية ومعرفية - قد استندت على مسلمة ضرورة الاتساق مع الحقيقة الكونية ؛ لتحقيق الضمان المعرفي والتمييز بين ما هو قابل للتحقق صدقاً أو كذباً وماهو فارغ من المعنى أصلا . لكنها كانت دائما - أى محاولات إثبات الاتساق هذه - تتم من زاوية معينة للرؤية "seeing aspect" ، أو"الرؤية على نحو ما" seeing as"[1] الأمر الذي يجعل التناقض يظهر في كل مرة يبلغ فيها اطمئنان الإنسان مبلغاً كبيراً في الظن بإدراك نظام معين أو أنظمة معينة للاتساق الكوني على المستوى الطبيعي أو المستوى الاجتماعي وحتى على المستوى الرياضي ؛ وينسحب ذلك التصور للاتساق الكوني على الصياغات المنطقية لمنظومات الأوليات في التعبير عن الكشف العلمي للحقائق الكونية ؛ ذلك لأن موقف ما أو زاوية الرؤية على نحو - ما هي إلا مناهج تحقق معيار الاتساق نسبة إلى مجال معين وفى حدود معينة ؛ لتصور هذا المجال أو النظام باعتبار أنه بنية وفق المعنى الذى اصطلح عليه أصحاب المذهب البنيوي "structuralism"فإذا ما اتسعت هذه الحدود بفعل تجاوز الكشف العلمي لتصورات النظام المنطقي في علاقات المجال المعين - فسرعان ما يظهر التعارض بين ما تم التسليم به من تصورات النظم المنطقية - وبين ما يمثل كشفاً علمياً جديداً يحقق اتساعاً في حدود المجال ، بنحو قريب الشبه من مقولة "البارادايم" "paradigm" الدالة على فاعلية النموذج المعرفي التي ذهب إليها"توماس كون" "TH. Kuhn" في كتابه " بنية الثورات العلمية "The structure of scientific revolutions" ومن تابعه في ذلك. هذا ، ويمكن ملاحظة أن السبب الكامن خلف هذا التعارض المتوالي بين "المجال" باعتباره الإطار الواقعي لفعاليات وجود معين ، وبين "النظام باعتباره تصورا للنسق المنطقي التنظمي ؛ وبصدد المجال المعني - نقول إن السبب في هذا التعارض هو عدم القدرة على تحقيق الرؤية الكلية "universal view" لكون دائم ومستمر الاتساع ، الأمر الذي يجعل من المحال أن يكون في مقدور الإنسان وضع مبدأ مطلق في الاتساق ، ومن ثمّ تحويل هذا المبدأ إلى علم مدون ومخطوط، دون أن يتاح له السيطرة والسيادة على ما تم وما يتم في الكون والتحكم في مسيرته بوعي مستقبلي . وهذا محال لكون الإنسان ليس خالقاً للكون أصلاً ، فالخالق - وهو الله تعالى - فقط من يمكنه التحكم والتوجيه لما خلق ، وذلك بإرادة منه في ذلك ؛ حيث تختزن كلمة "إرادة " "will" هنا مصطلح "الوعي" بكل مقتضياته. وعلى ذلك لا يمكن حل التعارض اللازم للوعي الإنساني بين "النظام" و"المجال" إلا إذا تحققت لديه الرؤية الكلية بحقيقة الكون في ذاته ؛ لا

(*) أ ستاذ مساعد جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

(1) N.R.Hanson- patterns of discovery – Cambridge University "observation".

بافتراضات برادايمية تبنى قياسياً على جزيئات خضعت في إدراكها وتقييمها إلى موقف ما أو زاوية للرؤية أو رؤية على نحو ما " وفق مقررات علم نفس الجشتالت " وإذا كان منهج الإنسان "فى الرؤية الجشتالتية " يصطلح عليه بالاتساق كخاصية ضرورية للبعد الجزئي للمجال الكوني- فإن الرؤية الكلية التى تضمنها القرآن الكريم ذات خاصية اتساق مطلق ؛ نسبة الى حاكمية القرآن الكريم على المجال الكلي للكون ، ويمكن وصفها باعتبار أن منهج الكشف عنها في كثير من الأحيان أو في جانب كبير منه -هو خرق للاتساق بالنسبة للمعيار الذى تواضع عليه الإنسان وفق الرؤى الجشتالتية بصدد تفسير المراكز المحورية التحكمية للدائرة الكلية للكون .

(ب)اشكالية نظرية الاتساق كمبرر منطقى للكشف عن قاعدة خرق الاتساق :-

إن الفروض العلمية المستنبطة بالكيفيات المنهجية المنطقية التى يعطيها القرآن الكريم - تفيد توجيه زاوية البحث التجريبي للتحقق منها وتقريرها على مستوى كونها فرضية موجبة تثبت وجود العلاقة بين المتغيرات ، وفى هذا أيضاً قد تكون الفائدة بتوجيه الإنتباه إلى فروض أخرى متولدة عن البحث في تلك . وعليه، فإن خاصية الاتساق المنطقي المعتاد في البنية التركيبية الداخلية لعناصر النص الحامل للفرض العلمي كانت - في الغالب - هى الإجراء المنهجي المعطى لاستنباط هذه الفروض العلمية ، وذلك بدافع الإعتقاد والتسليم بأن هذه الخاصية للاتساق لا تتجنب التعامل مع العناصر التى تبدو اصطلاحاً عناصر ميتافيزيائية "Metaphysics" في العلم . ولكن الأخذ فقط بقاعدة الاتساق التقليدية - التي تواضع عليها المناطقة كمعيار أوحد في الكشف عن الفروض العلمية في التعامل مع الحقائق العلمية المستنبطة من القرآن الكريم - إنما يمثل جانباً من دائرة كلية تتجاوز في جانبها الآخر حد الاتساق التقليدي هذا ، فيكون الاقتصار عليه مؤدياً لمشكلات منهجية منطقية وتفسيرية لتلك النصوص القرآنية التى لاتلتزم بهذا الاتساق التقليدي . ومن تلك المشكلات أن يؤدي هذا إلى القول بأن القرآن الكريم يحمل نوعاً من التناقض الذاتي أو أن تسري على نصوص قرآنية - نظرنا إليها فقط من زاوية معيار الاتساق التقليدي - نفس تلك المشكلات التى سرت على تطبيق هذا المعيار في قضايا المنطق واللغة التي أظهرتها بحوث ودراسات الفلاسفة والمناطقة المعاصرين .

فإذا أردنا الحديث عن نظرية الاتساق "coherence theory" فيما يتعلق ببيان صدق القضايا نسبة إلى المعيار الذى تطرحه هذه النظرية لوجدنا أن نظرية الاتساق للصدق كانت تعد سمة مميزة للبناء العقلاني للميتافيزيائيين الكبار نحو "ليبنتس" "Leibniz" "وسبينوزا""Spinoza" "وهيجل"Hegel "وبرادلي"Bradly"، كما أخذ بها أيضاً العديد من فلاسفة مدرسة الوضعية المنطقية "logical positivism"وقد تركز اهتمام بعضهم حول أنساق الرياضيات البحتة والفيزياء النظرية مثل "نيوراث" "Newrath" "وهمبل" "Hembl" "وكارناب""Carnap".

وطبقاً لنظرية الاتساق فإن ما يمكن أن يقال من أحكام أو اعتقادات أو قضايا - فإنه يثبت كونه صادقا أو كاذبا باتساقه أو عدم اتساقه مع عام هي عضو فيه ، بحيث ترتبط العناصر المؤلفة لهذا النسق مع بعضها البعض بروابط التضمن المنطقي ؛ كما هو الحال مع عناصر أنساق الرياضيات البحتة ؛ أى : أن الصدق الاتساقي هو الاتساق مع البنية العامة للإعتقادات

عن العالم ككل[2] . بل ـ كما ذهب إلى ذلك "لدفيش فتجنشتاين "L wittgenstein- إن المعنى والدلالة المعطاة أصلاً لأي من هذه الأحكام أو الإعتقادات أو القضايا والتى تمثل "علامات " "signs" تتخذ هيئة "الجمل" "sentences" - تكتسب من نسق العلامات الخاص باللغة التى تنتمي إليها ، الأمر الذي يستلزم أن يكون فهم جملة ما - يعني فهم سياق كامل للغة ما[1] ، أى أن الاتساق يترتب على تحقيق الفهم الكلي ، حتى يتم إعطاء المعنى لأي من علامات السياق بمفردها ومن ثم يمكن الحكم عليها بالصدق أو بالكذب وفقاً لهذه النسبة[1].

ومجمل الأمر لدى الداعين إلى نظرية الاتساق - هو أن مايبرر الاتساق كمعيار للصدق أن الأنساق "systems" الحاملة للعلامات هى بمثابة "تسلسل مترابط من الوقائع العقلية " Atrain of mental " باعتبارها فعاليات دالة على أنماط حياتية معينة تختلف عن بعضها اختلافاً اجتماعيا نوعياً ؛ مما يسوغ بدوره لعدم ضرورة التطابق التجريبي مع الواقع الطبيعي الخارجي حتى تكتسب كل النصوص والأحكام والقضايا قيم صدقها ؛ إذ كما يقول "ويت " "White" - إن معيار الصدق للقضايا التي تمثل عنصراً أو عضواً في نسق يكون هو الاتساق على الأقل مع بعض الأعضاء الآخرين .

ودلالة ذلك أن الحكم أو الاعتقاد يكون صادقاً ليس لأنه يتطابق مع الواقعة الطبيعية، وإنما لأنه يتفق أو يتناسق "Harmonize" مع قوام المعرفة الحاصل لنا العلم بها. ومن هنا يحل مفهوم التماسك "consistency" محل مفهوم التطابق "correspondence"[6] ، وهو ما دعى إلى القول بأن التماسك يعدّ خاصية منطقية تتعلق بالعلاقات بين الأفكار أو الوقائع العقلية "Mental stats" والتى تسمح لنا بأن لانقبل اعتقادات جديدة بكونها صادقة إلا على أساس الطريقة التى تنسقها مع ما تنتمي إليه من نسق كلي لنمط عقلي نسبة لطريقة في الحياة "form of life" وذلك تبعاً للكيفية التى تستخدم بها الإعتقادات كعملات في هذا النسق[7] .

ولكن يمكن القول بأن نظرية الاتساق بكونها تقوم على المبدأ المنطقي في عدم التناقض كشرط ضرورى للصدق ، فهى بذلك لايمكن أن تؤدي دوراً مطلقاً ومكتملاً بصدد كافة الأنساق على اختلافها النوعي ، فهناك من الأنساق ما يجعل الاقتصار على معيار الاتساق في الحكم على قضاياه مؤدياً إلى حصول مفارقات ومعضلات منطقية معقدة على نحو مانرى فيما عرف بمفارقة "رسل" "Russell's paradox" في نحو نظرية الأنماط " Type theory" ، إذ يشير "رسل"إلى التناقض القديم حول نوع السؤال القائم بصدد "ابيمنيدس" "Epimenids" ، حيث قال "ابيمنيدس"الكريتى : "إن كل الكريتيين كاذبون . وأن كل ما يقوله الكريتيون من عبارات هى عبارات كاذبة قطعاً " فهل هذا كذب؟ والشكل البسيط لهذا التناقض هو أن يقول رجل "أنا كاذب " فإذا كان كاذباً كان مايقوله صادقاً والعكس بالعكس[1].

كما أمكن التعبير عن هذه المفارقة منطقياً على نحو ما يلي :

---

(1) السيد نفادـ إشكالية الصدق بين المنطق والفلسفة – الجمعية الفلسفية المصرية 2000ص235.

(1) Ludwig Wittgenstein – The Blue and Brown Books- Basil Blackwell,oxford,1960,p.5

(1) B.Russell- Mathematical Logic as Based on the Teory of Types- contemporary in

لنفترض أن w هى فئة الفئات التى لاتنتمي إلى نفسها أو ليست عضواً في ذاتها ، إذن متى ماكانت الفئة x تعني (x هى w) تكافئ (x ليست x) ، فهنا يكون إعطاء x القيمة w فإن (wهى w)ستكافئ (wهى ليست w)[2]

ولربما كان هذا التناقض هو ما دفع بفيلسوف ومنطقي مثل "فيتجنشتاين" - في نهاية الأمر- إلى التنازل عن فرض صفة اليقين كضرورة للاتساق المعرفي ؛ وذلك بقوله : "**إن اليقين ليس شرطاً ضرورياً للمعرفة ؛ إذ يمكن معرفة شئ من دون أن تكون هذه المعرفة يقينية ، بل ويمكن لهذه المعرفة أن تكون خاطئة ، وهذا يجعل المعرفة ليست ممكنة من دون شك ، فالشك الذي لديه غاية معرفية هو جزء من المعرفة** "[3]. وهذا هو نفس المنطلق الذى يدعونا إلى الكشف عن قواعد معيارية أخرى ، بجانب الاتساق التقليدي ، ليس لقياس الصدق العلمي في قضايا نسق معين فحسب وإنما أيضاً لاستنباط فروض علمية من هذا النسق ذي الخصوصية النوعية المتميزة بكونه القرآن العظيم كلام الله تعالى .

(ج) الدلالة المنهجة المنطقية لقاعدة خرق الاتساق :-

إن استخراج الفرض العلمي من آيآت القرآن الكريم يتم إما "بالكشف" عنه برصد الاتساق في بناء العلامات داخل السياق ، باشتراك وتماسك الدلالات وتكاملها ، وفق معناها المستفاد من كيفيات استخدامها في النصوص القرآنية .وإما "بالاستنباط "للفروض "hypothesis" برصد الدلالة وفق القاعدة التى يمكن الاصطلاح عليها بقاعدة "خرق الاتساق"، باعتبارها تبدو في السياق الواحد باحتوائه على مفردات غير متقابلة الدلالة " أى الكلمة وعكسها المباشر " مما يثير الإنتباه إلى افتراض القانون العلمي الكامن وراء الجمع بين "المتضادات" وليس "المتنافضات" ؛ إذ أن التضاد يسمح ببقاء وحفظ المتضادات في موضع وآن معاً ، بينما يقتضي التناقض بالضرورة رفع أحدهما مع بقاء الآخر. والمقصود هنا أن التضاد في الاتساق يعني اتساق القضية في ايراد الضد والضد الآخر ـ "الكلمة وعكسها المباشر والمناسب ـ مثل الهدى / الضلال / الأخذ / الرد ، السلب/ الإيجاب، ونحو ذلك . أما إن كان التضاد في "خرق الاتساق" فإنه يعني ـ بنحو ما ـ فعل الإستعارة الدلالية لأحد المتقابلين المتناسبين والمباشرين ورده أو تعليقه على مقابل شاذ ـ أى بعيد وغير متناسب ـ مما يحدث خرقاً في الاتساق بالتقابل ، وذلك مثل : الضلال / التذكر، الهدى / النسيان .

هذا ، وقد يجوز القول بأن التفسير العلمي للواقعة في القضية أو النص - وفق هذا المنظور- يحقق الكشف العلمي عنها في كلا المستوين ،فإما أن يتحقق بثبوت العلاقة الإفتراضية الموجبة بين المتغيرات ، ليكون الكشف العلمي بإضافة ثبوت العلاقة على الكيفية المقررة في الفرض ، وإما أن يتحقق بعدم ثبوت العلاقة بين المتغيرات فيكون الكشف العلمي بإثبات فصلها وسلب أحدهما عن الآخر من جهة ، وتقرير ضرورة اقترانها بكيفية مغايرة من جهة أخرى .

ومن جانب آخر يمكن القول أن العلامات الشاذة في السياق القرآني بصدد الفروض العلمية الدالة على حقائقها - إنما توصف بذلك ؛ لكونها تعارضات غير جائزة في مستوى الخبرة الإنسانية ، أما في القرآن الكريم فهى تمثل سياقاً مكتملاً وفق نسق

---

(2) Logical Theory, I.M.copi, J.Agould, The Macmillan- company-New York, collier Macmillan Limited- London,1971,p.135

(3) Ludwig Wittgenstein-On certainty- Basil

متميز لمستوى كلي . وهى بذلك تمثل فيه اتساقاً ضرورياً ؛ نسبة لطبيعة السياق وخصوصيته . وفى هذا يمكن استخلاص بعض الإشارات في النصوص العلمية تتلخص في المفاهيم التالية:

أولاً: تقسيم العالم إلى مجالات "fields" ومناطق على كافة مستويات وأنواع الموجودات :

"**ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل** .." سورة الإسراء الآية :89".

" **ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون** "سورة الروم الآية :58".

ثانياً: لكل مجال - قانون علمي مركزي تدور حوله سائر القوانين الفرعية الأخرى للمجال . والآيات العلمية للقرآن الكريم تكشف عن تلك القوانيين المركزية : "[**إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لأيات لقوم يعقلون**] "اسورة لبقرة الآية: 164" "**وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا** " سورة الكهف الآية : 84 -85"." **وفى الأرض آيات للموقنين** " "سورة الذاريات آية: 20".

ثالثاً: القانون المركزي هو قانون تحكمي بالضرورة يقوم بإجراء الضبط الشامل للمجال بالتحكم في إنتاج وإدارة القوانين الفرعية داخل الأنساق، باعتبار أن النسق أو المجال مؤلف من عدد من الأنظمة المتعددة داخله؛ وهي نوع من "المتشابهات العائلية " "family resemblance".

رابعاً: إن النص القرآني العلمي يكشف عن القانون المركزي لكل مجال من المجالات ، ومن ثم يحقق ما يعرف في علم التحكم - السيبرنيتيك "Cybernetics"بالتحكم المركزي" قوله تعالي: [**سنريهم آياتنا في الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ..**] سورة سبأ الآية :53- والاشارة هنا إلى قوله تعالى "**آياتنا فى**..". ويمكن القول أن البحث عن "المركزية" بحث قديم منذ فلاسفة اليونان الطبيعيين الأوائل ، ومروراً بتصور "الحد الأوسط" في المنطق الأرسطي كإشارة أولية لتحقيق مفهوم "المركز التحكمي ".

خامساً: إن من فائدة الرؤية إلى النص القرآني ؛ باعتباره يكشف بالدرجة الأولى عن القوانين المركزية التحكمية : هو أن معرفة هذه القوانين على هيئة فروض تقبل التحقق - من شأنه أن يعجل الكشوفات العلمية الكونية ،كما يحقق درجة عالية من تجنب الآثار السالبة والناتجة عن الجهل بهذه القوانين التحكمية عند الإنتاج الإبداعي من قوانين المجال من جانب العلماء .

سادساً : إن القوانين التحكمية المركزية لا تكشف فحسب عن كيفية الإدارة الميكانيكية والتفاعلية للنظم "orders" داخل النسق - وإنما أيضاً تكشف عن الأبعاد الأخلاقية والقيمية لها.

وربما يبدو هنا أن ثمة تشابهاً بين هذا التصور لمفهوم "المركزية التحكمية" وبين "البنيوية" ، ولكن أياً كانت أوجه الشبه ؛ إلا أن هنالك فرقا جوهريا بينهما ؛ إذ أن الحال في البنيوية هو أن التفاعل بين البنيات المختلفة يتم عبر الشخصية الكلية للبنية على حساب العناصر ؛ فللبنية شخصية مستقلة عن مجموع عناصرها ، ولهذا فالتحكم في العناصر يأتي من الإطار الخارجي للبنية . أما في المركزية التحكمية فيكون لكل عنصر في النسق حقّ التفاعل مع أي عنصر آخر في نسق مغاير ؛ وفق مايفرضه قانون كل عنصر ، وهنا يكون التحكم نابعاً من النقطة المركزية والتي تمثل القانون التحكمي الضابط داخل النسق.

وأخيرا، يمكن في هذا الصدد استنباط عدد من المفاهيم الأساسية التى تؤدي فيها القواعد المنطقية فعلها في الاتساق وخرق الاتساق ، وهذه المفاهيم هي :

1/ **المجال** field وهو البناء الكلي لحالة كائنات أو أشياء ترتبط مع بعضها البعض مثل متشابهات عائلية يسيرها عدد من القوانين الفرعية تحت إدارة وتحكم قانون مركزي .

2/ **النسق** system: وهو الشكل أو الإطار أو التعبير المنطقي على نمط فعاليات المجال ، والذى يمكن صياغته والتعبير عنه ـ أى النسق ـ وفق علاقات منطقية رياضية مجردة ، ويتألف النسق من عدد من الأنظمة ، وهى المتعلقة بالاختلافات والفروق الفردية بين الكائنات والأشياء داخل المجال، وتتبع في إدارتها إلى القوانين الفرعية .

3/ **النظام أو الأنظمة** "**orders**" : وهى الوحدات الصغرى في تآلف المجالات ، ويعبر عنها من خلال النسق ، وتتعلق بمعدلات التوزيع الفردي لبرامج الطاقة .

ومن النماذج التحليلية لقاعدة خرق الاتساق ما يمكن أن يفهم أولاً من الأية

282 فى سورة البقرة قوله تعالي: [.. واستشهدوا شهدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ..]

إن الله تعالى قضى أن امرأتين هما وحدة القياس الأولى في مقابل رجل واحد بصدد بعض الفعاليات الحياتية ، ونموذج ذلك يمكن استنباطه من تقرير مكافأة شهادة الرجل الواحد بشهادة امرأتين ، وكان تبرير ذلك في الآية هو مثال واضح لاستنباط الفرض العلمي عن طريق منهج الكشف عن خرق الاتساق في علاقة مقدم الآية بتاليها ، فالشاهد أن علامة **"تضل"** يقابلها اتساقاً علامة **"الهدى"**، وعلامة **"التذكر"**يقابلها اتساقاً علامة **"النسيان"**، ولكن خرق هذا الاتساق التقليدي في سياق الاية الواحدة ـ وفق خصوصية الاتساق القرآني ـ بوضع علامة" **الضلال"** كمقدم ، وعلامة **"التذكر"** كتالي لها ـ يثير هنا ـ بنوع من الضرورة ـ فرضا علمياً مفاده : أن المرأة لاتنسى بل تضل ، فإذا ضلت إحداهن لا تستطيع الأخرى أن تهديها وإنما فقط تذكر . فإذا وضعنا صفة الرجل التى قررها الله تعالى بنص قوله في سورة الاحزاب ـ الآية 4: **" ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه".** عندئذ يمكن أن يكتمل بناء الفرض بإمكانية تقسيم العقل الإنساني بناءً على نوعي الحالة العقلية ؛ وهما : الحالة العقلية الانفعالية وهي حالة الـ **"Mind"** والتى يستجيب فيها القلب بزيادة ونقصان معدلات ضخ الدم نتيجة للمؤثرات

الانفعالية العاطفية ، وهو يسمح بالتعامل مع مفهوم القلب في الآية المذكورة باعتباره رمزاً للحالة العقلية "Mind "لأنه يتأثر بمتغيرات هذا العقل تأثراً مباشراً ثم ينقل هذا التأثر الى عموم الجسد ، والحالة العقلية الأخرى وهى الحالة العقلية المنطقية الحسابية ، أى : حالة الـ **"Reason"** والتى لا تتعامل بردود الأفعال وإنما بالاستنباط المنطقي بترتيب النتائج على المقدمات في حدود الواقع الموضوعي بغض النظر عن الاستجابات الوجدانية . ولعل مما يمكن أن يستفاد من الآية القرآنية المذكورة أخيراً أن الحالة العقلية الانفعالية لدى الرجل هي ثلث العقل لديه ؛ وليس الثلثين ، وهو ماقد يفهم من الاشارة **"من قلبين "** ، وبالتالى تحتل الحالة العقلية المنطقية الحسابية من العقل لديه مقدار الثلثين . وبناءً على تخصيص الرجل بأنه ليس لديه من قلبين في جوفه ، تكون المرأة في المقابل قد أخذ القلب أو الحالة العقلية الانفعالية من عقلها الثلثين ؛ في مقابل الثلث للحالة العقلية المنطقية الحسابية لديها ، والاشارة هنا إلى المثال الواضح في قاعدة خرق الاتساق في قوله تعالى [**إن تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما**] سورة التحريم الآية : 4". وذلك أن الاتساق يقتضي التثنية للقلب تبعاً لتثنية المرأتين وتثنية التوبة ، فيكون الاصل **"قلباكما"**تبعاً لـ **"تتوبا "**. وهنا يكمن خرق الاتساق المؤكد للفرض المقدم . وما قد يفهم من هذا أن ثلث الحالة العقلية المنطقية الحسابية لدى إحداهن وثلث الحالة العقلية لدى الأخرى تعطي في مجموعها الحالة العقلية المنطقية الحسابية لدى رجل واحد ؛ وهى ما تمثل ثلثي العقل لديه . ويمكن التحقق من هذا الفرض بإجراء اختبارات التوجيه التلقائي للانتباه وقياس تأثير ذبذبات موجات التفكير على المجال الكهرومغنطيسى ، إضافة إلى رصد شدة الاستجابة الانفعالية على وظائف الأعضاء بصدد موضوع معين لدى كل من الرجل والمرأة . فإذا ما ثبت ذلك بالتحقق التجريبي - أمكن استنباط تفسير راجح بصدد مسألة قوامة الرجل على المرأة بما فضل الله بعضهم على بعض ؛ وذلك بنص من سورة النساء ـ الآية 34 قوله تعالي:**"الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ..."** وهذا قد لا يعني أفضلية في الجنس أو النوع الطبيعي ؛ وإنما قد تكون ـ على الأرجح ـ أفضلية وظيفية ضرورية في مجالات وظيفية معينة .إذن يمكن أن يتكون هنا فرض علمي دال على قانون مركزي تحكمي جراء الكشف عن خرق الاتساق التقليدي في اشتراك العلامات المتقابلة في سياقها "تضل/ تذكر/،تتوبا/ قلوبكما" ، وأن هذا القانون المركزي التحكمي يقع على نظامين متباينين "الرجل/ المرأة" داخل نسق واحد "الإنسان".

ومما تجدر ملاحظته كذلك ـ من جهة أخرى ـ بصدد قاعدة خرق الاتساق في هذه الأمثلة ـ وعلى وجه العموم ـ أن من السمات المميزة لهذه القاعدة هو حصول الخرق داخل متشابهات عائلية لنسق ما ، ونعني بـ" المتشابهات العائلية "family resemblance هنا هو الإنتماء اللفظي والدلالي لبعد لغوي معين في إطار كيفية الاستخدام للغة عادية أو طبيعية ، مما يشير إلى أن العلامات المتقابلة إنما هي بالضرورة تنتمي إلى عائلة لفظية واحدة وترتبط فيما بينها داخل هذه العائلة بتشابه دلالي في الاستخدام [1] ، ومثال ذلك أن التشابه الدلالي في الآية الكريمة يمكن أن يكون قائماً بين علامتي :

الضلال / التذكر ـ الهدى/ النسيان

---

[1] L.Wittgenstein- Remarks on the Foundations of Mathematics-p.299.

مما يعنى انتمائهما إلى عائلة لفظية / دلالية واحدة ؛ حتى ولو لم يكن هنالك اتساق تقليدي في تقابلهما معاً . بينما يمكن أن ينعدم التشابه الدلالى بين علامتين مثل : الهدى / القتل ..... مما يعني عدم إمكانية اشتراكهما في عائلة لفظية واحدة . كما أن المقصود بالمشابهة : الحدود التى يتاح في داخلها التعدد الدلالي لكيفيات الاستخدام للعلامة اللغوية "linguistic" فلا تخرج كيفية استخدام معينة لعلامة عن حقلها الدلالي ولا تنقل إلى حقل آخر، وإلا أدى ذلك إلى تفكيك لايسمح بقيام سياق أصلا ؛ وذلك مثل القول **:"رأيت اللاوجود"**. وأن هذا "الحقل الدلالى" يحوي في داخله أبعاداً ومستويات متعددة توضحها كيفيات الاستخدام المتغايرة للعلامة ؛ الأمر الذي يمنحها معناها نسبة إلى طريقة أو نمط معين للحياة .

(د) خاتـمة :-

يمكن القول أن قاعدة الاتساق هى قاعدة عامة ترد في القرآن الكريم وفى غيره ، أما قاعدة خرق الاتساق فهى خاصة بالقرآن الكريم دون سواه ، لذا يمكن ختاماً ملاحظة أن قاعدة الاتساق تمثل فاعلية منهجية وصفية بكونها تشير على نحو مباشر إلى "واقعة طبيعية""natural" في العلم الخارجى على هيئة الوصف المباشر ، وهذا لا يستلزم استنباطاً للفرض العلمي بقدر ما هو تقرير لحقيقة علمية . أما قاعدة خرق الاتساق فإنها تمثل فاعلية منهجية استنباطية بكونها إشارة غير مباشرة إلى ما يمكن الاستدلال عليه منطقياً وتكوينه بالقياس ثم نقله بعد إلى حيز الفرض العلمي ، فالسياق هنا لا يأتي تقريراً وافياً مباشراً لحقيقة علمية ؛ وإنما هو عرض لحكم "judgment" مترتب بالضرورة على هذه الحقيقة العلمية .